الإهـــداء

إلى زوجتى : . . .

فقد أعطت الكثير . . . . . وهذا قليل . . . . .

تقديم

تزخر المكتبة العربية بمراجع عديدة فى علم النفس والنمو النفسى ولكن معظمها ينبع من صيغة فكرية سادت جو الأبحاث والاتجاهات فى القرن الماضى فلقد سيطرت أبحاث علماء النفس الأمريكيين إلى حد كبير ولكن ظهور مدرسة جنيف Geneva School فى ميـــدان علم النفس ونشوء الاتجاهات الحديثة التخصصية مثل علم نفس الطفل .. من ناحية والنظرة الشمولية التى تنادى بتبادل التأثير والتأثر والتشابك بين كافة العلوم من ناحية أخرى جعل نظرتنا للنمو تختلف عن ذى قبل ووضعنا فى خضم مجال يزداد معدل تغيره كل لحظة .

ويحاول هذا الكتاب أن يصف ويصنف موضوعات النمـــو النفسى مشيرا إلى بعض الأبحاث التى ظهرت فى كل موضوع فبدأ بالإشارة إلى الأيدولوجيات التى تنبثق منها النظريات المختلفة ثم عرض موجز لأهم النظريات الداخلة فى كل صيغة فكرية ثم يتطور لكى يلقى نظرة داخل كل نظرية ليتعرف على منظورها بالنسبة لكل من هذه الجوانب مع نبذة عن تطوير نماذج إيجابية للمعاملات داخل الفرد وبين الأفراد استرشاداً بهذه الآراء . كل ذلك بطريقة مبسطة تجعله مقدمة قبل أن يكون مرجعا للدارسين فى هذا الميـــدان أرجو أن يؤدى ما أردنا له والله أشكر على ما أعاننا عليه .

طنطا فى أبريل ١٩٨١

دكتور محمد رفقى محمد فتحى عيسى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

(١)

كلنا نعرف ما هو الطفل وكثير منا يعلم الكثير عن الأطفال بل يكاد يتذكر ما كان عليه فى طفولته وأنماط كثيرة من البشر تأخذ فى اعتبارها دراسة الأطفال كوظيفة أساسية أو معاونة بل أن دراسة علم النفس وما تتطلبه من دراسة للنمو وخصائصه أصبحت أساسا لدراسات عديدة وسياسات كثيرة على المستوى الخاص على المستوى العام فعلى المستوى الخاص نجد دراسات تختص بدراسة أنماط من سلوك أطفال معينين (لماذا لا يستطيع هذا الطفل آداء عمل معين بينما يتمكن أقرانه ؟ ما الذى يجعل هذه الطفلة تسلك هذا السلوك العدوانى بينما شقيقتها تحجم عن أقل منه ؟) وعلى المستوى العام نجد الدراسات تهتم بمراحل نمو الأطفال وكيفية اكتسابهم لأنماط متعددة من السلوك والاتجاهات (ما الذى يجعل الأطفال يسيرون فى نموهم على وتيرة واحدة يتحسبون فى سنهم الأولى ويتكلمون فى سنهم الثانية ويكونون صداقات فى الثالثة . وهكذا ؟ ما الذى يجعل الأطفال محدودين فى تفكيرهم بالمكان والزمان بينما يستطيع الكبار أن يتذكرون عبر الماضى ويتوقعون أحداث المستقبل ؟ (ومما لا شك فيه أن هذه التساؤلات ستظل محل بحث على مدى أطول وأطول بل وقد تنشأ تساؤلات عديدة طبقا للجو الفكرى والأيدولوجية السائدة فى كل عصر . ولقد كان موضوع علم نفس النمو على ما فيه من تساؤلات داخل تفكير الفلاسفة القدامى أيام كانت الفلسفة هى أم العلوم . ولا نجد دليلا أوضح من كتابات الفلاسفة القدامى عن المحاورة التى ما زالت تدور فى أرجاء ميدان علم النفس الآن ألا وهى الطبيعة أم التطبع (Nature or Nurture) فنجد أبو قراط

أبو الطب الذى عاش فى القرن الرابع قبل الميلاد يرى أن تفكير الإنسان وشخصيته تتأثر كبيراً بالعوامل البيئية فالمناخ المتقلب فى رأيه هو الذى يثير العقل البشرى ويمنعه من السلبية وأن المزاج العدوانى وتقلب العواطف ما هو إلا نتاج نمط معين من الجو المحيط بالإنسان بينما نجد أرسطو الذى عاش فى نفس الحقبة من التاريخ يرى الإنسان كنتاج للإنسان ممـــا يجعل صفاته الشخصية نتاج ما كان عليه أبواه من صفات شخصيـــة وتظل المحاورة قائمة حتى نجد الفليسوف الفرنسى ديكارت فى القرن السادس عشر الميلادى يضع لها خطوطا تحدد مسارها إلى أثر الطبيعة فى بعض الصفات وإلى أثر التطبع فى صفات أخرى .

ولسنا هنا بصدد إصدار حكم على صدق هذا أو ذاك ولكننا نحاول أن نشير كيف أن الأيدولوجية السائدة فى عصر ما قد تحكم ما قد يبدو من تساؤلات وطريقة بحثها ولعل أوضح مثال على ذلك ما نقرأه فى كتب التربية عن اختلاف المناهج وطرق التدريس تبعا للموقف الفلسفى للتربية ونظرتها للإنسان فالنظرة للانسان ككل متكامل تختلف عن النظرة إليه كروح وجسد والنظرة إليه ككائن شرير بطبعه تختلف عن النظرة إليه كخيرٌ بطبعه وما أحدثه جون ديوى من تجديد تربوى كان منشأه تغير هذه النظرة الفلسفية للانسان . فإذا كان أبو قراط يرى الإنسان باعتباره نتاج القوى الخارجية الممثلة فى البيئة الطبيعية ويراه سانت أوجست باعتباره نتاج هذه القوى الخارجية ولكنها الممثلة فى البيئة الاجتماعية نجد أرسطو ومن بعده ديكارت يرى هذه القوى الخارجية عاجزة عن تغيير صفات الإنسان التى ورثها أو على الأقل بعضا منها وهذه الآراء تساعدنا فى تفهم الصيغ الحالية التى تشكل الإطار النظرى وتحدده عن غيره فى دراسات النمو . ويمكننا أن نميز صيغتين أساسيتين تتسيدان ميدان علم نفس النمو هذه الأيام هاتان الصيغتان تختلفان فى نظرتهما للانسان وعلى أساس هـــذا الأختلاف كان الاختلاف فى الأطر النظرية الداخلة فى تكوينهما . الصيغة الأولى هى الصيغة الميكانيكية

Mcchanistic model وبتزعمها الأميريقيون الذين يرون الطابع الميكانيكى لسلوك الإنسان فرغم أن الإنسان ليس بماكينة ولكن سلوكه يتطابق مع سلوك أى ماكينة . أما الصيغة الثانية هى الصيغة الكوينه Organismic model ويتزعمها العقلانيون الذين ينظرون إلى الإنسان باعتباره كائنا بيولوجيا أو نظاما بيولوجيا له تركيبه المتكامل .

ولا يمكننا أن نحكم على صيغة ما باعتبارها خاطئة أو مصيبة فالصيغة لا تصف واقعاً وإنما تضع أساسا لإطار نظرى تدخل فيه نظريات فهذه الصيغة هى التى تمد النظرية بمسلماتها بينما تقوم النظرية بمحاولة لتفسير الظاهرة والتحكم فيها أو التنبؤ بها . وبمدى صدق هذه التفسيرات والتنبؤات يتحدد مدى صدق النظرية ومن ثم فأننا قد نجد نظريات مختلفة داخل إطار نظرى واحد منبثق من صيغة معينة .

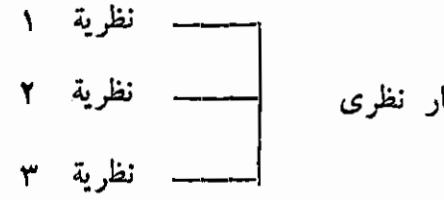

مفهوم النمو :

يشير النمو فى مفهومه العام لما يحدث للكائنات الحية كلما مر بها الزمن من تغير باعتبار هذا التغير يسير بترتيب منسق يميز نوعا ما من هذه الكائنات وموضوع علم نفس النمو ليس ما يحدث فقط وإنما كيف ولماذا يحدث هذا التغير وعندما نعود إلى الصيغتين السابق ذكرهما ونظرتهما لتلك الكيفية أو السببيه نرى اختلافا بينا ومثال ذلك نظرة كل منهما للكيفية التى يحدث بها النمو ، هل يحدث النمو على شكل خطوات